قضايا الأدب ISSN: 2602- 7305
المجلد السابع/العدد الأول السنة: 2022

تجربة الكتابة الروائية عند حنا مينه

الدكتور عبد الحكيم المرابط
المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين
جامعة القاضي عياض مراكش (المغرب)

تاريخ الإرسال: 27-04-2021	تاريخ القبول: 10-11-2021

ملخص:

يعد كتاب هواجس في التجربة الروائية لحنا مينة، من أهم المؤلفات التي أطلعنا من خلالها على العناصر الأساسية المساهمة في تشكيل تجربته الروائية المتميزة في العالم العربي، وقد صاغ ذلك بأسلوب قصصي، وسنعمل هنا على تحليل نص "البراءة والدهشة"، الذي يلخص علاقة حنا مينة بالكتابة الروائية، وتم التركيز في هذا التحليل، أولا: على تقديم موجز لهذا النص، والذي قسمناه إلى قسمين، يتعلق أولهما بقصة حنا مينه "على الأكياس"، التي هي جواب عن سؤال: "كيف تعلمت الكتابة؟"، والثاني يتعلق بالمطالعة والكتابة وجدلية الشباب والكهولة، وثانيا: الوقوف عند مسألتين أساسيتين، ترتكز أولاهما حول إبداعية نص حنا مينه النقدي، وثانيهما تتعلق بواقعية الكتابة عند حنا مينه، وفي الختام تم تقديم تركيب إجمالي لما تقدم عرضه.

الكلمات المفاتيح: التجربة الروائية، البراءة والدهشة، القراءة والكتابة

Abstract

Hanna Mina book "Obsessions in the Novel Experience" is one of the most important works in which he informed us about the basic elements that contribute to the formation of his distinguished fictional experience in the Arab world. It was formulated in a narrative style. We will work here to analyze the text of "Innocence and amazement", which summarizes Hanna Mina relationship wrote fictional writing, and the focus was in this analysis, first: on providing a summary of this text, which we divided into two parts, the first of which relates to the story of Hanna Minh "On the Bags", which is an answer to the

question: "How did you learn to write?", And the second relates to reading and writing. The controversy of youth and old age, and secondly: standing at two basic issues, the first of which is based on the creativity of Hanna Mina critical text, and the second relates to the realism of writing at Hanna Mina, and in conclusion a synthesis of what was presented above was presented.

Key words: novel writing experience, innocence and amazement, reading and writing .

البحث:

تقديم

يعتبر حنا مينة،كما تردد على لسانه: "كاتب الكفاح والفرح الإنسانيين"، وهو روائي سوري ولد وعاش في مدينة اللاذقية ما بين (1924-2018)، ساهم في تأسيس رابطة الكتاب السوريين واتحاد كتاب العرب، ويعد من كبار كتاب الرواية العربية، وتتميز رواياته بالواقعية. عاش طفولته الأولى في إحدى قرى لواء الإسكندرون على الساحل السوري، وفي عام 1939 عاد مع عائلته إلى مدينة اللاذقية، وهي عشقه وملهمته بجمالها وبحرها، وكافح كثيرا في بداية حياته حيث عمل حلاقا وحمالا في ميناء اللاذقية، ثم بحارا، كما اشتغل في مهن كثيرة أخرى منها: مصلح دراجات، ومربي أطفال في بيت سيد غني، إلى أن عمل في صيدلية ثم صحافيا أحيانا، وكاتب مسلسلات إذاعية للإذاعة السورية باللغة العامية، وموظفا وروائيا[1].

1 – أنظر مهدي عبيدي: جماليات المكان في ثلاثية حنا مينة، (حكاية البحار– الدقل– المرفأ البعيد)، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2011، ص 13 وما بعدها.

ومن أهم إنتاجاته الروائية والقصصية، نذكر: "المصابيح الزرق" و"الشراع والعاصفة" و"الياطر" و"الأبنوسة البيضاء" و"حكاية بحار" و"نهاية رجل شجاع" و"الثلج يأتي من النافذة" و"الشمس في سوم غائم" و"بقايا صور" و"المستنقع" و"القطاف" و"الربيع والخريف" و"حمامة زرقاء في السحاب" و"الولاعة" و"فوق الجبل" "تحت الثلج" و"حدث في بيتاخو" و"النجوم تحاكي القمر" و"القمر في المحاق" و"عروس الموجة السوداء" و"الرجل الذي يكره نفسه" و"الفم الكرزى" و"الذئب الأسود" و"الأقرش" و"الغجرية" و"حين مات النهد" و"صراع امرأتين" و"حارة الحشادين" و"البحر والسفينة وهي" و"طفولة مغتصبة" و"المرصد" و"الدقل" و"المرفأ البعيد" و"مأساة ديمترو" و"الرحيل عند الغروب" و"المرأة ذات الثوب الأسود" و"المغامرة الأخيرة" و"هواجس في التجربة الروائية" و"كيف حملت القلم" و"امرأة تجهل أنها امرأة" و"النار بين أصابع امرأة" و"عاهرة ونصف مجنون" و"شرف قاطع الطريق".

1- موجز نص "البراءة والدهشة"

يحكي حنا مينة من خلال هذا النص مأساة طفل فقير، في سن البراءة، عانى من الحرمان والقهر الاجتماعي، وكابد صعاب الحياة، دون أن يتسلل إليه الشعور بخيبة الأمل في حب الإطلاع على عالم حكايات "ألف ليلة وليلة" المفعم بالمغامرات،

والاندهاش[2] باكتشاف عوالمه الساحرة، والغاية من ذلك كله، عند حنا مينه، هي بسط موقفه من المطالعة والكتابة، بين عالم الطفولة والشباب، وعالم الكهولة.[3]

1-1 . قصة "على الأكياس" جوابا عن سؤال "كيف تعلمت الكتابة؟"

يطلعنا حنا مينه من خلال النص الذي بين أيدينا، على تجربته الإبداعية في قصته "على الأكياس"، التي هي جواب عن سؤال "كيف تعلمت الكتابة"، حيث تحدث على حد قوله: «عن الطفل الذي كنته، والذي فرضت عليه ظروف الفقر والجوع أن يعمل منذ طفولته عملا شاقا على البحر كي يساعد عائلته»[4].

وقد انطلق حنا مينه في عرض قصته، بتعريفنا بالشخصيتين المركزيتين اللتين تحركان أحداثها وهما؛ العريان، وهو رئيس مخزن الحبوب الذي كان يعمل عنده، وزوجته "كريمة" المرأة الطيبة، ليشير بعد ذلك إلى النهاية المأساوية التي آلت إليها حياة العريان وزوجته بعد أن انفصلا عن بعضهما، إذ عثر على العريان يبيع السكاكر على طبق خشبي عتيق لتلامذة مدرسة ابتدائية، قبل أن يعثر عليه ميتا في غرفة من قبو قديم، مظلم، بعد أيام من وفاته، وحيدا غريبا، وأما زوجته كريمة، فقد اضطرتها الحياة إلى العمل كخادم في بيت مريب في الصالحية[5].

2 – يعتبر الإحساس بالدهشة والغربة من أهم شروط الإبداع، عبد الفتاح كيليطو: الأدب والغرابة، دراسة بنيوية في الأدب العربي، دار توبقال للنشر، ط 5، 2008.

3 – حنا مينه، هواجس في التجربة الروائية، منشورات دار الآداب، ط1، بيروت، 1982. ص 60-68

4 . حنا مينه، هواجس في التجربة الروائية، ص 60.

5 . نفسه

وعن طريق توظيف تقنية الاسترجاع، يعود بنا ـ حنا مينه ـ إلى ذكرياته الطويلة مع العريان، الذي عمل معه في مستودع كبير للحبوب، حيث كان حنا مينه كاتبه الخاص، بالإضافة إلى عمله الرئيسي في تمريك جولات الحبوب، وبالات القطن، والصادرات بكل أنواعها، من تم ينطلق حنا في وصف الأعمال الشنيعة التي يقوم بها العريان اتجاه العمال، من طرد، أو حسم لنصف يوم من العمل، بادعاءات باطلة، فيقف حنا حائرا بين وصايا أمه اتجاه العمال الذين هم بمثابة أعمامه، وبين إكراهات العريان الذي لا يرحم.

كما يصف حنا مينه كذلك، عملية السرقة المنتظمة التي كان العريان يقوم بها من المخزن، ويبيعه للسيد جواد، وكذلك الاقتطاعات التي يأخذها من أجور العمال، وكلما تقدم له حنا بموعظة ينتهره ويدعوه إلى الصمت، مما اضطره إلى التفكير في ترك العمل، لولا أن الواقع المأزوم قد حال دون ذلك، نظرا لصعوبة إيجاد عمل آخر، أضف إلى ذلك أن العريان كلن يهدده أحيانا ويرغبه أحيانا أخرى ببعض المكافآت، كل ذلك قد حال دون التفكير مرة أخرى في تركه للعمل[6].

ويسترسل حنا مينه في الحكي مشيرا إلى مفاجأة لطيفة أعدها له العريان لما علم أنه مولع بالقراءة، فناوله كمية من الكتب التي كانوا يعملون على استرادها وتصديرها باستمرار، ووعده ووفى بوعده أن يمنحه ما شاء من الكتب كلما تم استرادها[7].

6 ـ حنا مينه، هواجس في التجربة الروائية، ص 60 – 61.
7 ـ نفسه، ص 62 – 63.

ويشير حنا مينه إلى أن العريانية، هي الشريكة الوحيدة له في القراءة، وقد فرحا معا، بكتاب "ألف ليلة وليلة" طبعة بولاق، الذي كانا يسبحان في عوالم حكاياته، كما أن لكتاب "طرزان"، الذي حصل عليه حنا مينه ذات يوم، وقع في حياته، يقول في هذا الصدد: «سأذكر هذا الكتاب ما حييت، فهو الذي أيقظ حبي للغابة وهو الذي حملني على أجنحة البراءة إلى عالم طرزان، المفعم بالمغامرات، وجسد لي الرؤى الغابية، بكل ما فيها من جميل الزهر والخضرة واللون، وما فيها من طير ووحش وزواحف (...) فكنت أقرأه بدهشة بالغة الروعة، وكان انتصار طرزان يضرم في الحماسة»[8]، ويقول كذلك «إذا كانت حكايا والدي، وقصص البحارة والصيادين، قد أيقظت ورسخت في ذاتي حب البحر هذا الذي تصاعد إلى درجة الولع، فإن كتاب طرزان هو الذي زرع الغابة في جنبي انجذابا وائتلافا ومعايشة تبعث الحنين في نفسي إلى الآن، وتزهر وتخضوضر وتملأ داخلي بحضورها الساحر»[9].

2-1 . المطالعة والكتابة وجدلية الشباب والكهولة.

ما يحزن حنا مينه وقد تقدم به العمر هو ما بدأ يشعر به من أن تلك الدهشة البكر الأولى التي صورها لنا في قصته "على الأكياس" قد أصبحت في طور الزوال، وأن اكتشاف العوالم المجهولة لم يعد يقدم له المتعة التي كان يحصل عليها في الصبا، ويؤكد حنا مينه أنه لا يخشى «على عذرية المتعة، ودهشة الاكتشاف، وبكارة الجدة، وبراءة التخيل في المطالعة وحدها، بل في الكتابة أيضا، هذه التي إذا فقدنا طفولتنا

8 . حنا مينه، هواجس في التجربة الروائية، ص 63.

9 . نفسه.

إزاءها كفت عن إعطائنا نفسها، وصار النظر إليها بعيني كهل مأساة في التلقي والأداء، وفاجعة في العيش نفسه»[10]، لهذا سعى حنا مينه، إلى البقاء مرتبطا بالطبيعة والحياة والحب والناس والحفاظ على الحلم حيا أي «الإندغام في الكون كرة أخرى»[11].

ولهذا فحنا مينه، تعتاده الذكرى ويستبيحه الندم لـ «أن في الحالتين ارتداد إلى إحياء المشاهد والأشخاص والأفكار ومحاولة لعيش الواقعة من جديد، غير أن هذا يكون مؤقتا، فالأصل أن نعيش الدهشة والبراءة والبكارة في كل لحظة، عند المطالعة، والكتابة، وممارسة كل شؤوننا اليومية، أي القدرة على نفي الكهولة والعودة إلى الطفولة، العودة إلى الشباب»[12]، فالفنان لا يستطيع العمل في شروط وظروف كالتي يعمل فيها الرجل العادي الخاضع لقانون الطبيعة الأزلي، القائل كل ما يولد يموت فيخلد إلى الراحة و«يعتبر عيشه قد تم، ومائدته قد استنفدت فهو يحيا على فتاتها وربما تاجر أو طبب أو صيديل بحركات آلية أو بانفعال تقليدي روتيني، يستمر لضرورات الحاجة أو قضاء الوقت»[13]، فالفنان لابد له من نار تحركه، يكون وقودها الحب والسفر والتغيير مع الحفاظ ببريق الشباب الطامح.[14]

10 – نفسه، ص 64.

11 – نفسه.

12 . حنا مينه، هواجس في التجربة الروائية، ص 64.

13 . نفسه.

14 . نفسه، ص 65.

فمرحلة الشباب «هي التي تعطي الإبداعات جوها العفوي الأصيل، لا خارج الوعي، لكن بسليقته التي تعطي العفوية مساحتها وعمقها، تجعلها عفوية واعية تستمد حريتها من الموضوعية والذاتية في وحدتها العضوية الكاملة»[15]، عكس ذلك في الكهولة، «نقرأ ناقدين، ونكتب ناقدين، ونحيا ناقدين»[16]، وهذا يحول دون أن يحقق الإبداع وظيفته المنشودة.

أشار حنا مينه في هذا الصدد، إلى أنه قد كتب فصلا في مطلع روايته "حكاية بحار"، وألغاه لخروجه عن الساق العام للرواية، حاول من خلاله أن يصور أوجه التباين بين ممارسة الحب في الكهولة، وممارسته في الشباب. مستخلصا من ذلك أن الكهل، رجلا كان أم امرأة، لم يعد يشعر بتلك اللذة والسعادة التي كان يشعر بهما أيام الصبا والشباب، إذ أصبحت العلاقة بين الجنسين في سن الكهولة آلية فقط، يحكمها العقل لا العاطفة، وتتحول اللذة والحب لديهم إلى الأكل[17].

إن هذه العلاقة الجدلية بين ممارسة الجنس في سن الشباب، وممارسته في سن الكهولة، تنعكس كذلك على مستوى عملية المطالعة والكتابة، ولتفسير ذلك يستحضر حنا مينه في هذا الصدد، مقولة الألم واللذة لأبي بكر الرازي، «كيف يكون الشبع والارتواء والنوم والراحة لذائذ لإسكات آلام منبعثة من فقدها»[18]، وهذا هو ما

15 . نفسه.
16 . نفسه.
17 . حنا مينه، هواجس في التجربة الروائية، ص65 – 66.
18 . نفسه، ص 66.

يحدث على مستوى الأدب، فمن يفتقر إلى الصدق في علاقاته ووجدانياته، في سلوكياته كلها، لا يستطيع أن يكون صادقا في الكتابة، لأنه لا يعرف ألم الكذب الذي يتطلب لذة نفيه، والأدب التقدمي، في نظر حنا مينه، ينطلق من هذا المعيار للصدق، الذي يقوم جدليا على التضاد، فالكاتب لكي يبدع، لابد له من صدق ينفي الكذب[19].

ويكون الأدب صادقا، في نظر حنا مينه، في حالة نفيه للكذب عبر الصراع الدرامي، عندما لا يتعارض مع منطق التاريخ، ومن تم، «فإن العفوية الواعية هي عفوية صادقة، لأنها لا تتعارض والسياق التاريخي، وكل عفوية صادقة هي عفوية واعية، لأنها تلتقط الشرائح الاجتماعية وتحكم عليها بحس تاريخي»[20]، ولا خوف من الاندفاعية في الأدب ولا خشية في تفجره أيام الشباب، بحجة عدم النضج الفكري، إذ يكفي أن يكون هذا الأدب صادقا غير متعارض مع السياق التاريخي.

وهذا لا يعني حسب حنا مينه، أن الكتابة في سن الكهولة هي خارج دائرة الإبداع، بل على العكس يكون أكثر إبداعية إذا عرف كيف يستفيد من النضج في شرطه الإنساني؛ أي أن «يفهم الإنسان في جديده، في طموحه، في وعيه المتقدم، وأن يلتصق به، ويمتلك العفوية الصادقة والدهشة والبراءة والانفعال»[21]، هذه الصفات تجعل الكاتب كهلا في العمر شابا في النظرة إلى الحياة، في التعامل معها بحماسة.

19 . نفسه

20 . حنا مينه، هواجس في التجربة الروائية، ص 66- 67.

21 . نفسه، ص 67 .

والذي يؤكد ذلك هو ما أشار إليه حنا مينه من أن جل رواياته كتبها عفوية ومغامرة في سن الكهولة، لكن النظرة التي كان يمتلكها عند كتابته لها هي «نظرة شابة إلى الحياة، فيها الحماسة والفرح والطموح، وفيها الدهشة أمام الكون، والبراءة أمام الطفولة، والانفعال أمام المرأة، والارتعاش أمام الغابة والبحر»[22].

من تم، ورغم أن الزمن قد بعد بينه وبين اللحظات التي كان يقرأ فيها "ألف ليلة وليلة"، ويعيش فيها مع "طرزان"، فإن رغبته في السفر والإبحار والتعرف إلى الأحياء الشعبية، لا زال يذكي النار التي في صدره لتفجير إبداعات جديدة، يولد معها من جديد، لأن الكتابة لديه، هي مواصلة للتجديد، وإقبال على الحياة بعشقها والتفاؤل بها بحس تاريخي، يهدف إلى التغيير[23].

1 2- تحليل النص في سياقه.

من خلال هذا العرض الموجز، لأهم الأفكار والمضامين التي ينطوي عليها نص "البراءة والدهشة"، يتضح جليا أن التعمق في فهم هذا النص، قد لا يتأتى إلا بربطه بالسياق العام لنصوص أخرى، سواء تلك التي ورد ضمنها في كتاب "هواجس في التجربة الروائية"، أو الأخرى التي تقع في كتاب "كيف حملت القلم"، وخاصة تلك التي يشير من خلالها حنا مينه إلى متى وكيف ولماذا يكتب الكاتب.

22 . نفسه، ص، 67 – 68.

23 . حنا مينه، هواجس في التجربة الروائية، ص، 67 – 68.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى، قد يبدو للمطلع، على نص "البراءة والدهشة"، أن هناك مجموعة من الملاحظات والاستفسارات التي تفرض نفسها عليه بإلحاح، من قبيل، كيف يمكن أن نفسر أن حنا مينه قد وسم كتابه بـ "هواجس في التجربة الروائية"، في حين أننا نجد النص الذي بين أيدينا يعرض لتجربته في قصته "على الأكياس" كما يعلن ذلك في بداية النص؟ ثم لماذا تمت الإجابة عن سؤال مطروح بقصة؟ هل يمكن القول أن مقولة لكل مثل حكاية، تعني عند حنا مينه لكل سؤال قصة؟ وأيضا، إذا كان الكل قد أجمع على أن تجربة حنا مينه الروائية؟ تنهل من نبع الواقعية، فأي واقعية هي؟ وأين يتجلى ذلك؟، وما هي المؤشرات الدالة عليها بالنسبة للنص الذي بين أيدينا؟.

1-2 . حول الطابع الإبداعي لنص حنا مينه النقدي

حتى نتمكن من تعميق الملاحظات السابقة الذكر، وتوسيع دائرة الأفكار التي يحيط بها هذا النص، نرى أنه من اللازم ربطه، على الأقل، بنص آخر يصب في المغزى ذاته، الذي من أجله كتب هذا النص. حيث أنه؛ إذا كنا نعلم، أن نص "البراءة والدهشة" قد تم بإيعاز من سؤال مطروح سلفا هو "كيف تعلمت الكتابة؟"[24] فإن هذا يثير انتباهنا إلى سؤال آخر هو "كيف حملت القلم؟" الذي بناء عليه، سنجد أنفسنا في المقال الأول من كتاب "كيف حملت القلم"، والذي عنون الكتاب ككل بعنوانه.

24 . حنا مينه، هواجس في التجربة الروائية، ص 60.

إن الرسالة التي حاول حنا مينه تقديمها من خلال عرضه لقصته "على الأكياس"، هي أن تعلمه للكتابة جاء نتيجة مصادفة، حيث أنك إذا تابعت الأحداث التي مر بها هذا الصبي الفقير، الذي لم يتابع تكوينا منتظما، بل على العكس تابع أعمالا شاقة منتظمة، لن تصدق أنه سيصبح ذات يوم كاتبا، يقول «لقد حملت القلم مصادفة وقصدا في آن»[25]، ويؤكد كذلك أن الكتابة لديه كانت في البداية «"فشة خلق" من قهر اجتماعي، ثم صارت تنفيسا عن عواطف مضطربة حبيسة الصدر، وفي النهاية صارت قضية، وحول هذه القضية لا بأس من تقديم وجهة نظر، تحاول أن تقول لماذا اخترت الأدب، أو لماذا فرض الأدب نفسه علي، طريقة في التعبير عن عالمي الداخلي وعالمي الخارجي، والعالم كله من حولي، وموقفي من قضايا الفكر والثقافة ومهمة حامل القلم»[26].

إن إجابة حنا مينه عن السؤال المطروح بقصة، ليس لأنه يعجز عن الإجابة بأسلوب نقدي مباشر، وإنما لغاية أخرى هي التي نستشفها من قوله: «أتساءل، هل كان علي، في جواب عن عنوان هذا المقال، [يقصد كيف حملت القلم] أن أستعرض البداية، ومراحل البدايات، والدوافع التي حدت بي إلى الكتابة أصلا؟ لقد أردت أو فرض علي أسلوبي في القص، أن أعطي الجواب من خلال أحداث مرت بي، ووقعت فيها، وتمرست من خلالها، وأن تكون لها صيغة السيرة لاعتبارين: الأول أنني أمهر في القص مني في الدراسة، والُثاني كما قلت في "هواجس في التجربة

25 . حنا مينه، كيف حملت القلم، منشورات دار الآداب، ط1، بيروت ،1986. ص 8
26 . حنا مينه، كيف حملت القلم، ص 22

الروائية" أرغب أن أبني علاقة حميمية مع القارئ (...) تاركا القارئ أن يعرف الجواب»[27].

غاية حنا مينه إذن، من هذه الأسلوب الإبداعي القصصي في الإجابة، تكمن في رغبته الأكيدة في ربط علاقة حميمية مع القارئ، وعدم قدرته على مبارحة أسلوبه القصصي في الكتابة ، مع تصنيفه لهذا النمط من الكتابة، ضمن جنس السيرة الذاتية، حيث يقول: «فهو سيعرف [أي القارئ] من سيرة حياتي الأدبية المخلصة أني فعلت كذا وكذا، وتعرفت بفلان وفلان وساعد في تكويني هذا الكاتب أو ذاك»[28].

2-2 . حول واقعية الكتابة عند حنا مينه.

لقد أشار حنا مينه في النص قيد التحليل، إلى أن الأدب يكون صادقا، في حالة نفيه للكذب عبر الصراع الدرامي، عندما لا يتعارض مع منطق التاريخ، وأكد ذلك في كتابه "كيف حملت القلم"، ذاهبا إلى أن حامل القلم، هو حامل قضية، وهذه القضية مشتركة بينه وبين المتلقي، والكاتب باعتباره هو المؤدي محكوم عليه «بأن يقول الحقيقة وكل حقيقة هي مع التاريخ، وكل ما ضدها هو ضد التاريخ والكاتب الذي يقف ضد تاريخ الإنسان، البشرية، الجماعة، يقف بالمحصلة ضد نفسه لأنه منها، ولأنها إلى وعي دائما وإلى ارتقاء في هذا الوعي دائما أيضا، وليس

27 . نفسه.

28 . حنا مينه، كيف حملت القلم، ص 22.

من اليسير أن يضللها طويلا وهي تطالبه بأن يكون في كتابته مرآة، ترى فيها صورتها، بكل ما تعنيه هذه الصورة من قضايا ومطامح وتطلعات (...) وعندئذ يتولى الشعب كلمة في الكاتب الذي حمل قضيته فيمجده، وفي الكاتب الذي كان ضد هذه القضية فيحتقره، ويأتي التاريخ، هذا الشيخ الجليل ذو اللحية البيضاء، وفي يده اللوح الذي حكم فيه لا يمحى»[29].

إن هذه الإشارات التي يقدمها حنا مينه هنا، حول وظيفة الأدب، تؤكد المنحى الواقعي للأدب الذي ينشده، لكن الصعوبة تكمن في تحديد أي اتجاه واقعي يتبناه، فإذا ما تأملنا في بعض المفاهيم من قبيل "الأدب الصادق"، و"الحس التاريخي"، و"الكتابة باعتبارها مرآة"، و"مطامح وتطلعات الجماعة"، كلها تشير إلى الطابع الاشتراكي للواقعية التي يتبناها، لكن عندما نرجع إلى المبادئ التي تقوم عليها والواقعية الاشتراكية كـ «الأمانة للحقيقة التاريخية الحزبية والقومية، والالتحام العميق بالحياة والواقع، وإبداع شخصيات نموذجية في مواقف نموذجية، والبرهان على الطابع العام لعمليات التحول الاجتماعي من خلال صور فردية للأشخاص والأحداث، وتحليل العلاقات الاجتماعية بطريقة لا تعكس فحسب اتجاه الماضي والحاضر، وإنما تشير أيضا إلى طبيعة تطورها في المستقبل»[30].

كل هذا يكشف بأن هناك جوانب أخرى، لازالت غائبة عن ما كتبه حنا مينه، إذا أردنا اعتباره كاتبا واقعيا اشتراكيا. وربما أمكننا القول أن حنا مينه لم يشد عن

29 . نفسه، ص 23.

30 . صلاح فضل، منهج الواقعية في الإبداع الأدبي، دار المعارف، ط2، القاهرة، 1980، ص 84.

القاعدة التي سلكها الأدباء الواقعيون العرب، الذين يخلطون بين الاتجاهات المختلفة للواقعية كما يؤكد ذلك صلاح فضل من خلال دراسته[31].

2 تركيب

خلاصة القول بعد هذا العرض الموجز، لأهم الأفكار والمضامين التي ينطوي عليها نص "البراءة والدهشة"، وفي ضوء الملاحظات المسجلة حول ذلك، يتضح أن الهاجس الأساس لحنا مينه، هو رسم المعالم الكبرى للكتابة الروائية الواقعية التي ظل ينشدها، إذ أنه انطلق من سؤال مفترض هو "كيف تعلمت الكتابة؟"، تقتضي الإجابة المنطقية عنه، عرض البدايات الأولى لعملية الكتابة لديه، وإطلاعنا على التطورات التي لحقت مسيرته في الكتابة، وصولا إلى مرحلة النضج، حيث استوت تجربته في الكتابة واتضحت، لكن حنا مينه هدم أفق انتظارنا ذلك، فانتهى بنا إلى الإجابة عن سؤال مضمر، هو؛ "ما هي الكتابة الإبداعية التي شكلت هاجسه؟"، فسطر لنا إجابة محملة بنبرة واقعية مفادها؛ أن هذه الكتابة الإبداعية لابد أن تكون تعبيرا صادقا وعفويا عن معاناة المجتمع وتطلعاتهم، مع مراعاة منطق التاريخ، باعتباره الفيصل في الحكم النهائي على العمل الأدبي.

31 . نفسه، ص 19.